حضانة المعبد فى معابد بلاد الاغريق ومصر

فايز يوسف محمد

فى بلاد الاغريق ومصر وكوس Cos وبرجاموم ورومـا ومناطق اخرى من العالم القديم استخدمت المعابد كمستشفيات يقصدها المرضى للعلاج ؛ كما كانت تقصد ايضـا بغـرض الاستفسار عن امور تخص جوانب الحياة المختلفة .

وقد كان الشخص المريض أو المستفسر يذهب الى المعبد ويقضى فيه ليلة أوبعض ليلـة أو ثلاث ليال متتاليات عل الاله يتعطف عليه بالشفاء اثناء النوم أو عساه يرى حلما يكـون فيه حل معضلته .

وسوف يقتصر بحثنا على بلاد الاغريق ومصر وذلك لان هذه العملية كانت شائعة فى العالم القديم فى اماكن كثيرة كما سبق أن نوهنا .

وقبل أن نسترسل فى هذا البحث نود أن ننوه الى ان الناس قديما كانوا يلجأون الى ممارسة مثل هذا النوع من العلاج لسهولته ؛اذ أن الشخص المريض كان يتوجه الى المعبد بعد أن يقـوم ببعض الطقوس ثم ينام وفى اثناء نومه يتم علاجه؛ اما الطريق الثانى وهو اللجوء الى الاطباء فلابد انه كان مكلفا من ناحية ومصحوبا بالالم الشديد من ناحية اخرى ؛هذا فضـلا عن أن ثقة الناس فى الكهنة واعتقادهم الكبير فى آلهة الشفاء وخاصة اسكليبيوس كانت سببا ايضا فى تفضيلهم اللجوء الى المعابد لممارسة عملية حضانة المعبد Incubatio .(١)

وقد كان على الشخص المريض قبل أن يذهب الى المعبد للنـوم أن يتطـهر وأن يمتنـع عن اى علاقات جنسية أو عن بعض الاطعمة مثل لحم الماعز ؛وفى عشية حضانة المعبـد كان يقدم ثلاث كعكات؛اثنان لتيخى Tyche ومنيموسينى Mnemosyne فى الهواء الطلق وواحدة لثيميس Themis فى الغرفة التى سوف ينام فيها ؛وكانت تعرف بالمخدع المقدس ἄβατον (Cubiculum =) .

(٢)

أما فى حالة ما اذا كلل مسعى هذا الشخص المريض بالنجاح وأنعم عليه بالشفاء فقد كان يقدم قربانا أو نذر شكرا للاله الذى شفاه .

وقد اتخذ هذا القربان صورا عدة بدء بالتضحية الى تقديم بعض العملات أو الكعك أو نماذج لاجزاء من الجسد المبتلى .

ولدينا نقش على لوحة من الرخـام يظهر الجـزء الاسفل من الرجل اليسرى وكتبت عليـه الكلمات اليونانية التالية :

ΑCΚΛΗΠΙΣΖ ΚΑΙ ῾ΥΓΕΙΑ ΤΥΧΗ ΕΥΧΑΡΙCΤΗΡΙΟΝ

---

* ألقى هذا البحث فى ندوة " الحضارة اليونانية فى مصر – التأثير والتأثر " التى عقدت فى ٤، ٥ ابريل ١٩٩٣ .

وهو بمناسبة شفاء مريضة تدعى Tyche من مرض الم بها فى قدمها اليسرى ويرجع الى القرن الثالث ق .م وعثر عليه فى جزيرة ميلوس Melos .

أما النموذج الثانى فهو عبارة عن تيراكوتا نذرية تتكون من قدم ويد واعضاء تناسلية وأذنين وثدى وترجع الى القرن الثالث ق.م .

والنموذج الثالث عبارة عن منظر يمثل واجهة معبد فيه تدلت رجلان ويد ويرجع الى القرن الخامس ق.م . (٣)

والسؤال الآن : متى موست هذه العملية فى بلاد الاغريق ومصر ؟

أو بمعنى آخر هل وجدت فى بلاد الاغريق قبل مصر أو فى مصر قبل بلاد الاغريق ؟

فى الواقع من الصعب تقرير ما اذا كانت هذه العملية قد مورست فى بلاد الاغريق قبل مصر أو العكس . فالمعروف ان اقدم مصدر يونانى تحدث عنها بالتفصيل هو اريستوفانيس (٤٤٥ - ٣٨٥ ق.م) فى مسرحية بلوتوس Plutus (٣٨٨ ق.م) . وقد وردت الاشارة اليها عند هيرودوت (القرن الخامس ق.م) وذلك على لسان شخص يدعى Mus الذى يقوم باغراء شخص آخر بأن يذهب الى مزار امفياراوس Amphiaraos بطيبة ليرقد هناك وذلك بحثا عن نبوءة :

"لقد اغرى موس بالاموال رجلا غريبا ليس من اهل طيبة أن يذهب الى مزار امفياراوس لينام ؛ فقد كان من غير المسموح بالنسبة لأى شخص من اهل طيبة أن يستشير الوحى هناك ."

أما فى مصر ومصدرنا فى ذلك البرديات التى جادت بها مصر فهناك وثائق تبين أنها كانت تمارس فى المعابد فى القرن الثالث ق.م ؛ وهو مايدل على أنها مورست فى مصر بعد بلاد الاغريق ؛ولكن هذايمكن الردعليه بوثيقةبردية يونانية ترجع الى القرن الثانى الميلادى وهى عبارة عن ترجمة لوثيقة مصرية كانت مكتوبة باللغة المصرية القديمة وترجع الى زمن مبكر من التاريخ المصرى؛ وقد فقد الجزء الاول من الوثيقة والذى كان يمكن من خلاله تحديد تاريخ الوثيقة الاصلية ؛ وفى هذه الوثيقة التى بين ايدينا ترد اشارة الى مطابقة اسكليبيوس بامحوتب الذى كتبت الوثيقة الاصلية فى منحه .

وسوف يأتى الحديث عن هذه الوثيقة بتفصيل أكثر فى الجزء الخاص بمصر .(٤)

وعلى اى حال فقد مورست هذه العملية فى معابد بلاد الاغريق ومصر وكان الناس يشفون فعلا وهو مااتضح من قرابين الشكر التى سبقت الاشارة اليها وما سجلته لنا المصادر المختلفة التى سوف نعرض لها فى الصفحات التالية :

وقد كانت ابيداوروس هى المركز الرئيسى فى بلاد الاغريق لحضانة المعبد ووجدت مراكز اخرى فى كوس واثينا وبيرايوس Piraeus .(٥)

وقد كشفت حفريات ابيداوروس واثينا عن الطرق التى كان يتم بها العلاج وان كانت النقوش التى تسجل هذا الاسلوب من العلاج لايتعدى تاريخها النصف الثانى من القرن الرابع اوبداية الثالث ق.م .

ومن بين الادلة على حدوث مثل هذه الاستشفاءات فى معابد اسكليبيوس فى ابيداوروس نقش اكتشفه عالم الآثار اليونانى كافادياس Kavadias ونشر اول ما نشر سنة ١٨٨٥ وكان

مكرسا لابوللومالياتاسApollo Maleatasو اسكليبيوس من شخص يدعىاسيللوس Isyllos ويرحع تاريخه الى نهاية القرن الرابع ق.م ؛ وفيه إشارة الى الارتباط بين ابوللو الملقب بمالياتاس واسكليبيوس والى أن هذا اللقب من الصفة μαλός التى تعنى "ابيض أو غير مؤكد الاصل " والى معبد اسكليبيوس فى تريكا Trikkaبثساليا والى انه كان يتحتم على من يزور هذا المعبد ان يقدم اولا ضحية فوق المنبح المقدس الخاص بأبوللو مالياتاس .(٦)

وقد ارجع كوك Cook السبب فى ان المتضرعين الذين كانوا يأتون الى معبد اسكليبيوس فى تركيا للعلاج كانوا يقدمون تضحيتهم الاولى Προθύσεις لابوللو هذا الى ان عبادته فى ابيداوروس كانت ترجع الى زمن اكثر قدما من عبادة اسكليبيوس التى لايتعدى وجودها منتصف القرن السادس ق.م .(٧)

وقد عثر على مجموعة من الالواح الرخامية فى اثينا وبيرايوس ترجع الى القرن الرابع ق . م نقش عليها اسكليبيوس وهو يفحص مرضاه وهم نيام وتصحبه هيجيا ابنته فى بعض هذه الالواح والثعابين المقدسة فى بعضها الآخر .(٨)

ومن بين هذه النقوش نقش من بيرايوس عثر عليه فى معبد اسكليبيوس هناك ونقش على لوح من الرخام يصور اسكليبيوس ترافقه هيجيا وهو يقوم بعلاج امرأة نائمة .(٩)

ولم تكن كوس Cos تقل اهمية عن ابيداوروس من حيث كونها مركزا للطب والشفاء واستخدم معبد الاسكليبيون بها لنفس الغرض .

وقد ارتبط علم ابقراط Hippocrates؛ الطبيب اليونانى المشهور الذى ولد وتربى فى هذه الجزيرة ؛ بما كان يجرى فى معبد الاسكليبيون واستفاد مما كان مدونا فى هذا المعبد وهو ما اشار اليه المؤرخ استرابون (64/3 B.C - A.D.21) الذى يقول : "فى ضاحية (الجزيرة) يوجد الاسكليبيون ؛ وهو معبد مشهور بدرجة كبيرة وممتلىء بالكثير من القرابين النذرية ..... يقولون ان ابقراط قد مارس مايتعلق بالنظام الغذائى بصفة خاصة من الاستشفاءات التى دونت على هيئة قرابين نذرية .لقد كان هذا الرجل من المشهورين فى كوس آنذاك ؛......"(١٠)

لقد جرت العادة فى كوس أن يسجل الذين شفوا من الامراض ما قدم لهم من علاج حتى يمكن الاستفادة به فى الحالات المشابهة وهو الامر الذى سجله لنا بلينيوس الاكبر الذى ولد بعد موت استرابون (AD - 23/4 - 79) والذى ذكر ايضا ان ابقراط نسخ فعلا ماكان مسجلا فى اسكليبيون كوس :

"ولأن العادة كانت بالنسبة للذين شفوا من الامراض ان يسجلوا فى معبدهذا الاله ما قدم لهم من مساعدة حتى يمكن ان يستفاد منها فيما بعد فى الحالات المتشابهة ؛وقد سلم ان ابقراط نسخ هذه الحالات ؛ مثلما عهد بها فى زماننا الى فارو ؛ وبعد ان احترق المعبد انشـأ ابقراط هذا الطب الذى يسمى بالطب الاكلينيكى ."(١١)

وكما سبق ان اشرنا كانت الطريقة المتبعة فى عملية العلاج هى تنويم المريض فى معبد الاله

وهو ماعبر عنه بالفعل اليونانى κατακλίνειν الذى استخدم فى المصادر والوثائق للتعبير عن هذه الحالة والذى يعنى "يرقد أو يستلقى" حيث كان الاله يتجلى للمرضى .(١٢)

وقد تفضل هارولد ادريس بيل H.I.Bell برأى يقول ان هذا التجلى فى الواقع لم يكن تجليا "حقيقيا" وانما كان خدعة من قبل الكهنة المختصين بالمعبد الذين كانوا يتقمصون شخصية هذا الاله ويعتنون بالمرضى ويجرون بعض العمليات الناجحة دون تخدير وذلك باستخدام حالات النشوة التى كانت تنتاب هذا الشخص المريض فتجعله يفقد الاحساس تماما .(١٣)

ونحن لانعترض على القول بأن كهنة الاله اسكليبيوس هم الذين كانوا يقومون بالعلاج ـــ خاصة وان فى مصاحبة ياسو Iaso وهيجيا Hygieia وباناكيا Panaceaلاسكليبيوس عند مباشرته لعملية العلاج ما يدل على ان الكهنة كان لهم دور اساسى ؛ اذ رمز الى الكاهن ومساعديه بالاله اسكليبيوس وبناته الثلاثة .

وقد وردت الاشارة الى ياسو وباناكيا فى مسرحية بلوتوس لاريستوفانيس كتابعتين للاله يقمن بدور الممرضات وذلك فى حديث كاريون Carion الى زوجة خريميلوس Chremylus عندما يخبرها بأنه عندما كان ينام فى معبد اسكليبيوس اقترب منه الاله فاحدث حدثا فتقول له " وهكذا اصيب الاله بالاشمئزاز منك " فيرد عليها قائلا : "لا بل احمر وجه ياسو التى تتبعه خجلا واستدارت باناكيا وهى تمسك بأنفها ؛ ذلك لانى لم اخرج بخورا ".

وقد تقدمت الاشارة الى هيجيا فى قربان الشكر المقدم من تيخى Tyehe وفى نقش بيرانوس وانما اعتراضنا ينصب اساسا على جزم بيل Bell بأن النشوة وحدها كانت بديلا عن التخدير أو طرق اخرى كانت تستخدم . صحيح أن العباد كانوا يصلون الى حالة من النشوة الحادة التى كانت تدفع البعض منهم الى أن يجرح أو يخصى نفسه وهو فى حالة من الهياج الشديد لكن ثبت بالدليل القاطع أن الشخص الذى كان يذهب الى المعبد كان ينام فعلاوتحدث له عملية العلاج وهو نائم ؛ وهو ما اتضح من ابيات اريستوفانيس السابقة وماسوف يتضح ايضا من خلال عرضنا التالى :

وقد قدم اريستوفانيس فى مسرحيته المشار اليها آنفا فى الابيات ٦٥٩ ـ ٧٤٧ وصفا مفصلا لعملية حضانة المعبد وكيف كانت تحدث فى بلاد الاغريق ، هذا بالاضافة الى الى اشارات وردت متفرقة قبل هذا . واول اشارة صريحة عن حضانة المعبد وردت فى الابيات ٤١٠- ٤١٢ حيث ينصح خريميلوس بليبسيد يموس Blepsidemus أن يذهب باله الثروة (بلوتوس) الى معبد اسكليبيوس ليقضى ليلته هناك حتى يمكن شفاؤه من العمى . فقد كان زيوس قد اصابه بالعمى مما جعله لايفرق بين الغنى والفقير ولابين الصالح والطالح فيذهب الى منازل الاغنياء والاشرار بدلا من أن يذهب الى منازل المحتاجين والاخيار :

" لكننى وحق زيوس قد اتخذت الاستعدادات منذ زمن حيث من الافضل أن يذهب ليرقد فى معبد اسكليبيوس ".

وتتكرر الاشارة الى نفس الموضوع ايضا على لسان خريميلوس وهو يتحدث الى بليبسيدموس عن كيفية شفاء الاله بلوتوس من العمى وذلك فى البيتين ٦٢٠-٦٢١ :" سوف اقود انا وانت الاله بأسرع مايمكن ليرقد فى معبد اسكليبيوس " (١٤)

ونلاحظ ان الفعل الذى استخدم فى الحالتين للتعبير عن هذه العملية هنا هو κατακλίνειν الذى اشرنا اليه من قبل وهو مايعنى ان النوم كان امرا ضروريا فى هذه العملية . وابتداء من البيت ٦٥٩ وما يليه يقدم لنا اريستوفانيس شرحا دقيقا لل incubatio وماكان يحدث فيها بالضبط حيث يجرى حوارا جميلا بين كاريون وزوجة خريميلوس ، فكاريون يذكر انهم اتوا بالاله بلوتوس الى فناء معبد اسكليبيوس لعلاجه من حالة العمى التى المت بـه وانهم افترشوا الارض ليقضوا ليلتهم هناك . وتسأله زوجـة خريميلوس عما اذا كان هناك اشـخاص آخرون فيخبرها بأنه كان هناك نيوكليديس Neoclides الاعمى وكثيرون آخرون اتوا للعلاج .(١٥)

وفى الابيات التى تلى الابيات السابقـة يشرح لنا اريستوفانيس على لسـان كاريـون ماذا حدث فيذكر ان خادم الاله اسكليبيوس اطفأ المصابيح ثم طلب من جميع المرضى أن يناموا فى هدوء ودون احداث اى ضوضاء اذا ما سمعوا أى شىء ؛ ولان كاريون لم ينم فقد استطاع ان يرى كاهن الاله وهويخطف الكعك والتين الذى كان قد قدم فوق الموائد المقدسة كقربان وكان يضـع ذلك كله فى حقيبة كانت معه ἐς σάκταν τινά .(١٦)

ثم يذكـر كاريـون وهو يحكـى للكورس ولزوجـة خريميلوس أنه اخفى رأسه بينما كان الالـه اسكليبيوس يطوف ليعالج المرضى لكنـه رأى من خلال عباءته التى كان يضعها على وجهـه والتى كان بها ثقوب كثيرة الخادم وهو يضع امام الاله هاونا حجريا ويد هاون وصندوق علاج ورأى الاله يضع ثلاثة رؤوس من الثوم فى الهاون ثم يطحنها ويمزجهـا بعصارة تين ونبات عنصل ثم يبلل بعد ذلك كل هذا الخليط بالخل الاسفيتى ويضعه اخيرا فى عينى نيوكليديس الذى بمجرد أن وضعت الخلطة فى عينيه شعر بألم شديد وأخذ يصرخ .(١٧)

لقدادى هذا المزيج أو الغسول الذى صنعه اسكليبيوس أو كاهنه ووضعه فى عينى نيوكليديس الى اصابته بالعمي التام وهو ما اشير اليه فى البيت ٧٤٧:

τὸν δὲ Νεοκλείδην μᾶλλον ἐποίησεν τυφλόν.

ويمكن القول أن اريستوفانيس بسرده لهذه الواقعه وماانتهت اليه حالة نيوكليديس انماكان يسخر من الوصفات الشعبية أو طرق العلاج التى كانت شائعة فى عصره .(١٨)

وعندما اراد اسكليبيوس أن يعالج بلوتوس لم يلجأ الى نفس الاسلوب الذى لجأاليه وهو يعالـج نيوكليديس : فلقد جلس بالقرب من بلوتوس ثم لمس رأسه ونظف جفونه بمنشفة نظيفة وغطت باناكيا ابنته ومساعدته رأسه بثوب احمر ثم اطلق اسكليبيوس ثعبانين كبيرين من قدس الاقداس تسللا تحت الثوب الاحمر الذى يغطى رأس بلوتوس ولعقا جفونه ثم اختفيا مع اسكليبيوس داخل المعبد وأبصر بلوتوس مرة ثانية وهو مااشير اليه فى البيت رقم ٧٤٦:

ὅτι βλέπειν ἐποίησε τὸν Πλοῦτον ταχύ, (١٩)

وهنا فى هذه الابيات نلاحظ أن الثعابين ايضا كانت تلعب دورا هاما فى عملية حضانة المعـبد وفى اتمام عملية الشفاء، لذا نجد اسكليبيوس قد صور دائما ومعه ثعبان .والثعابين المشار اليها هنا من النوع الغيرمؤذ وكانت تعيش فى قدس اقداس معبد هذا الاله وتأتى ليلا لتلحس المرضى وهو مايؤكده ماورد على لسان كاريون وماورد ايضـا فى البيت رقم ٦٩٠ على لسان نفس الشخص الذى يقول :

ثم اخذت اهسهس مثل ثعبان من ثعابين اسكليبيوس الصفراء وأنا اصك اسنانى " حيث تشير الكلمة παρείας التى وردت هنا الى ثعبان اصفر غير مؤذ احتفظ بعدد كبير منه فى فناء اسكليبيوس .(٢٠)

فى مصر

أما فى مصر فقد مورست عملية حضانة المعبد فى معابد امحوتب - اسكليبيوس وسيرابيس وايزيس . ولدينا برديات من اوكسير ينخوس وتيبتونيس اضافة الى بردى زينون يرد فيها ذكر لعملية حضانة المعبد وما كان يتبع فيها وسوف نتعرض لها فى الصفحات التالية :

وأول هذه الوثائق عمل مترجم عن اللغة المصرية القديمة فى مدح ايموثيس Imouthes أو امحوتب Imhotep الحكيم المؤله الذى طوبق بأسكليبيوس ؛ وقد حفظ جزء من هذا العمل فى بردية وجدت فى اوكسير ينخوس يرجع تاريخها الى القرن الثانى الميلادى وبها افتتاحية شيقة صاغها المترجم أو الناقل يشرح فيها لماذا شرع فى مهمته . انه يقص كيف انه وامه قد شفيا فى معبد الاله وكيف أن امه بينما كانت تنظر الى جواره رأت شخصا طويل القامة يرتدى ملابس براقة ويحمل فى يده اليسرى كتابا ؛ وبمجرد ظهوره وفحصه له عولج من مرضه . (٢١)

ان كاتب هذه البردية كان مهتما اساسا باعطاء صياغة جديدة وليس ترجمة حرفية للفافة بردى مصرية قديمة تتعلق بعبادة امحوتب الذى ذكر فى السطرين ٢٠١- ٢٠٢ ب Imouthes · Ἰμούθης " بن بتاح Ptah " Φθᾶ :

Ἕλλην ἀνὴρ τὸν τοῦ Φθᾶ
σεβήσεται Ἰμούθην .

وفى السطرين ٢٢٨ - ٢٢٩ سمى باسكليبيوس بن هيفايستوس :

..... τὴν τοῦ Ἀσκλη-
πίου παιδὸς Ἡφαίστου ....

وتصف السطور من ١- ٣٢ الظروف التى صاحبت اكتشاف اللفافة فى معبد امحوتب فى ممفيس فى عهد نيكتابنو Nectanebo آخر فراعنة مصر ؛ وتشير ايضا الى عدد من الاساطير التى وجدت فى الادب الشعبى المصرى فى الفترة الاغريقية الرومانية وعلى سبيل المثال القصة التى انتشرت على نطاق واسع عن كون امحوتب والد الاسكندر الاكبر وقصة حلم الاسكندر التى حفظت فى بردى ليدن P. Leyden. (٢٢)

ويهمنا بالدرجة الاولى من هذه البردية السطور ٦٥- ٩٤ والتى يحكى فيها المترجم أو الناقل كيف انه وامه قد اصيبابمرض دفعهما الى معبد امحوتب - اسكليبيوس للاستشفاء عن طريق النوم ؛ فقد اصيبت امه بحمى ربعية ولجأت الى معبد الاله وشفاها الاله اثناء نومها ؛ واصيب هو ايضا بحمى فذهب الى معبد نفس الاله مع امه وامضيا ليلتهما هناك .

ولما كان متعبا فقد اخذته سنة من النوم رأى فيها الاله فى ثياب بيض ويمسك فى يده اليسرى كتابا وينظر اليه نظرة فاحصة مرتين أو ثلاثة ثم اختفى ؛ ولما استيقظ وجد نفسه قد شفى

تماما من الحمى واكتشف أن ما رآه فى المنام كانت امه قد رأته وهى يقظانة بجانبه .(٢٣) وقد وردت فى النص العبارة τεταρταία ἡ φρίκη وترجمتها الحرفية قشعريرة حمى ربعية " وهى نوع من الحمى كان يعرض للمريض يوما ويدعه يومين ثم يعود اليه فى اليوم الرابع .(٢٤)

وقد ذكر هذا النوع من الحمى عند ابقراط فى تصنيفه لانواع الحمى التى كانت تصيب معاصريه وذكر أن هذا النوع كان أقل خطرا من الانواع الاخرى ولكنه كان أطولها مدة :"ان بعض أنواع الحمى كان يستمر وبعضها كان يستغرق النهار ويتوقف اثناء الليل أو يستغرق االليل ويتوقف اثناء النهار .

لقد كانت هناك الحمى الشبيهة بالثلاثية والثلاثية والربعية (الرباعية) والخماسية والسباعية والتساعية ؛ وكانت اكثر الامراض حدة وعنفا وصعوبة ودمارا هى التى تتمثل فى الحمى المستمرة . اما الحمى الاكثر امانا وسهولة والاطول مدة من كل هذه الانواع فهى الحمى الربعية ." (٢٥)

وبمقارنة ابيات اريستوفانيس التى اشرنا اليها من قبل بما ورد فى الوثيقة البردية التى نحن بصددها نخرج بالنتائج التالية :

١- ان اللجوء الى المعبد للعلاج كان امرا مألوفا فى كل من بلاد الاغريق ومصر .

٢- ان اسلوب العلاج كان واحدا فى كلتا الحالتين وهو بتنويم المريض .

٣- تجلى الاله أو الكهنة للمريض فى الحالتين .

وقد كانت معابد ايزيس فى مصر تقصد ايضا للعلاج عن طريق حضانة المعبد ؛ وهناك بردية طويلة يحتوى وجهها عل تضرع ἐπίκλησις للالهة ايزيس ويحتوى ظهرها على موضوع مشابه الى حد ما لما ورد فى البردية رقم ١٣٨١ حيث يشتمل على مدح لامحوتب - اسكليبيوس ، وقد وردت اشارة فى السطر ١٥٢ من البردية الى مرائى ايزيس فى الاحلام عن طريق العباد الذين كانوا ينامون فى معابدها بغرض الاستشفاء والاستفسار عن مسائل اخرى : ὁρῶσι δὲ οἱ κατὰ τὸ πιστὸν ἐπικαλούμενοι

"ان هؤلاء الذين يتوسلون اليك باخلاص يرونك (فى الاحلام) ." (٢٦)

وقد سبق ان اشرنا فى اول هذا البحث الىان حضانة المعبد فى بلاد الاغريق ومصر كان الهدف منها العلاج من الامراض البدنية وكذلك الاستفسار عما أشكل أو غمض من الامور. وهناك اشارات عديدة فى البردى لعملية استشارة الوحى فى مسائل اخرى غير العلاج فكثيرا ما كان الشخص المستفسر يكتب مسألته على قطعة من البردى ويودعها فى المعبد الذى سوف ينام فيه لكى يحصل على اجابة من الاله .(٢٧)

ولدينا نموذجان من هذه الاستفسارات احدهما عبارة عن سؤال موجه الى وحى زيوس هيليوس سيرابيس عما اذا كان من الملائم شراء عبد ؛ وتقول كلمات البردية :" الى زيوس هيليوس سيرابيس العظيم والالهةالمعاونة.ان نيكى تسأل عمااذاكان من المناسب بالنسبةلها ان تشترى من تاسارابيون عبدها سارابيون المسمى جايون ايضا . فلتمنحنى هذا ."

اما النموذج الثانى فهو عبارة عن خطاب موجه من ليسيماخوس Lysimachus ؛ وهو

من وثائق العصر البطلمى ويرجع الى القرن الاول ق . م ؛ وفيـه يخبر اختـه بأنـه امتثالا لاجابة وحى صادرة عن الاله سوكنيبتونيس Soknebtunis سوف لايبدأ السير قبل تاريخ معين (الخامس والعشرين) ويعطى بعض الوصايا التى يكتنفها الغموض بسبب الحالة السيئـة التى عليها الجزء الاسفل من الوثيقة .(٢٨)

وقد حفظت لنا بردية يرجع تاريخها الى اواخر القرن الثالث أو الرابع الميلادى نماذج لاسـئلة موجهة لوحى . ويحتوى وجه هذه البردية على جزء من قائمة بالجزاءات الموقعة على فلاحين γεωργοί وكتب فى القرن الثالث ؛ اما ظهرها والذى يحتمل أن يكون قد كتب اثناء حكم دقلديانوس Diocletianus أو قبل حكمه بوقت قصير فهو جزء من قائمة اسئلة موجهـة الى الوهية ما . وقد حفظت الاسئلة من ٧٢- ٩٢ والتى تغطى الموضوعات الرئيسية التى كان الناس يتوجهون بها الى الآلهة بغرض المعرفة والاستفسار .(٢٩)

ومن بين هذه الاسئلة التى وردت فى هذه الوثيقة سؤال يقول :

هل سوف اتسلم هنية؟ εἰ λήψομαι τὸ ὀψώνιον; وكذلك : هل سوف أباع ؟: εἰ πωλοῦμαι;

εἰ γίνομαι βιόπρατος; وهل سأصبح شحاذا ؟

وهل سأصبح عضو مجلس شيوخ ؟: εἰ γίνομαι βουλευτής;

وهل سأطلق زوجتى؟ εἰ ἀπαλλάσσομαι τῆς γυναικός; وهل سأموت بالسم ؟: εἰ πεφαρμάκωμαι; وأسئلة اخرى تخص جوانب الحياة المختلفة (٣٠)

ومثل امحوتب - اسكليبيوس وايزيس كان سيرابيس يقصد للعلاج ايضا ؛ وكان سيرابيوم الاسكندرية يعد مركزا لحضانة المعبد ؛ هذا فضلا عن أنه كان يمثل نقطة التقاء بلاد الاغريق ومصر فقد طوبق سيرابيس بأوزوريس واسكليبيوس وديونيسوس وهيليوس وزيوس .(٣١)

ولدينا وثيقة بردية من بردى زينون توضح لنا كيف أن هذا الاله كان يكشف للعابدعن مراداته ويقضى حوائجهم عن طريق الاحلام.والوثيقة عبارة عن عريضة مقدمة من زويلوس Zoilos الى ابوللونيوس وزير مالية بطليموس الثانى فى الثانى عشر من فبرايرسنة ٢٥٧ق . م .؟

لقد أمر زويلوس من سيرابيس فى الحلم ان يبحر الى الاسكندرية ويخبر ابوللونيوس برغبـة سيرابيس فى بناء سيرابيوم له فى الحى الاغريقى فى المدينة لكن زويلوس يحاول التنصل من هذه المهمة فيصيبه سيرابيس بمرض خطير شفى منه بعد أن قطع على نفسه عهدا بأن يذعن لمطلب الاله .(٣٢)

وفى وثيقة اخرى فيها اشارة الى مطابقة سيرابيس ب زيوس وهيليوس نجد مايدل على أن هذا الاله كان يملك قدرات علاجية خاصة حيث كان المرضى يقصدون معبده للاستشفـاء . ان الوثيقة تتعلق بقصة شخص يدعى سيريون Syrion مع هذا الاله وترجع الى القرن الثانى الميلادى وفيها مايشير الى فضل الالـه على هذا الشخص الذى كان يعمل مرشد سفن والذى كان يقوم بنقل الماء من معبد هذا الاله الى سكان فاروس Pharos وكان يعتقد أن هذا الماء يملك خصائص علاجية ؛ وتقول كلمات الوثيقة :

"...... لقد قال : من اجلكم سوف امنح الماء لشعب فاروس . وبمجرد ان قدم التحية له ابحـر اعلى النهر وقدم الماء لشعب فاروس متسلما منهم كثمن مائة دراخمة فضية . وقد سجل هذا الفضل فى مكتبات ميركوريوم . دع كل الحاضرين يقولون : يوجد زيوس هيليوس سيرابيس

واحد . ذلك فضل زيوس هيليوس سيرابيس العظيم على سيرون مرشد السفن "(٣٣)
ويرجح ان موضوع هذه الوثيقة كان ضمن موضوعات تخص اشخاصا كانوا قد شفـــــوا من امراض فى سيرابيوم كانوب .(٣٤)

مماسبق يتضح لنا بجلاء ووضوح أن عملية الincubatio"حصانة المعبد " كانت تمارس فـى بعض معابد بلاد الاغريق ومصر فى معابد ابوللو واسكليبيوس وايزيس وسيرابيس ؛ وهوالامر الذى أكدته المصادر والوثائق المختلفة . وفى كل هذه الحالات كان النوم فى المعبد وكان الحلم يلعبان دورا رئيسيا حيث كان الالـه أومن يمثلـه يأتـى ليقدم الحلول للمشاكل الصعبـة ويعالـج الامراض المستعصية ، وتلك كانت عقيدة القوم فى هذه الايام و ان كان الامر لايخلو من حيل الكهنة وألاعيبهم التى لعبت دورا خطيرا فى هذا الموضوع .

الهوامش

------

(١) Ralph Jackson , Doctors and Diseases in the Roman Empire, British Museum Press , London (1988)p.138

(٢) Walter Burkert , Greek Religion Archaic and Classical , translated from German by John Raffan, Oxford (1985) p.268

Cf. Lex sacra from Pergamon,M. Worrle , Altertumer von Pergamon VIII 3,1969,167-90,from Epidauros : LSCG 60, LSCG 21 apud Burkert, note 52 p.451

(٣) Jackson, Doctors and Diseases....op.cit.plates 41,42 p.158 and pl.43 p.159

(٤) Heradot. VIII . 134 :

τοῦτο δὲ ξεῖνόν τινα καὶ οὐ Θηβαῖον χρήμασι πείσας κατεκοίμησε ἐς Ἀμφιάρεω. Θηβαίων δὲ οὐδενὶ ἔξεστι μαντεύεσθαι αὐτόθι ....

(٥) Godwin (J.),Mystery Religions in theAncient World, London (1981) p. 43 and cf.also Jackson, Doctors and Diseases ... op.cit.p. 143

(٦) Guthrie (W.K.C.),the Greeks and their Gods ,London (1950)p.248 Ephemeris Archaeologica (1885)pp.65 FF. detailed treatment by Wilamowitz, Isyllos von Epidausos Philol. Unters., IX (Berlin 1886).CF. also J.V.Powel, Collectanea Alexandrina (1925)132-136 apud Guthrie , ibid pp.249-50.

C.F. also Bell (H.I.),Cults and Creeds in Graeco Roman Egypt, Liverpool(1954)p.69

(٧) Cook (J.M.),Archaeology in Greece ,1949-1950,JHS. VOL. LXX (1951) p.241 .

(٨) Krug(1985), Figs. 57-61 apud Jackson , Doctors and Diseases... op.cit.p.157

(٩) Jackon , Doctors and Diseases .... op .cit .38 p. 144

وقد وردت الاشارة الى اسكليبيوس كشافى للامراض ومخفف لالام البشر وذلك فى الاناشيد الهومرية فى الانشودة الى اسكليبيوس Εἰς Ἀσκληπιόν التى تقول كلماتها :" أبدأ انشادى عن شافى الامراض اسكليبيوس بن ابوللو الذى انجبه من كورونيس Coronis ابنة الملك فليجيوس فى سهل دوتيون Dotion ؛ مصدر السعادة الغامرة للبشر ومخفف آلامهم المكدرة .تحيتى اليك ايها السيد . اننى اتوسل اليك بهذه الانشودة ."

Hom. Hymn., A Asclepios 1-5

Ἰητῆρα νόσων Ἀσκληπιὸν ἄρχομ' ἀείδειν
υἱὸν Ἀπόλλωνος, τὸν ἐγείνατο δῖα Κορωνὶς
Δωτίῳ ἐν πεδίῳ, κούρη Φλεγύου βασιλῆος,
χάρμα μέγ' ἀνθρώποισι, κακῶν θελκτῆρ' ὀδυνάων.
Καὶ σὺ μὲν οὕτω χαῖρε, ἄναξ· λίτομαι δέ σ' ἀοιδῇ.

وفى مسرحية بلوتوس لاريستوفانيس ترد اشارتان الى ابوللو واسكليبيوس كشافيين . وأول هاتين الاشارتين ماورد فى البيت رقم ١١ حيث يصف كاريون ابوللو بالطبيب :

ἰατρὸς ὢν καὶ μάντις, ὥς φασιν, σοφός

"انه طبيب ومتنبىء وحكيم ؛ هكذا يقولون ."

والاشارة الثانية ترد على لسان كاريون ايضا فى غمرة حديثة عن بلوتوس الذى نال عطف ورعاية اسكليبيوس فشفى من العمى حيث وصف اسكليبيوس بالشافى وذلك فى البيت رقم ٦٣٦:

Ἀσκληπιοῦ παιῶνος εὐμενοῦς τυχών.

" لقد حاز عطف اسكليبيوس الشافى ".

Strabo , 14 .2.19: (١٠)

ἐν δὲ τῷ προαστείῳ τὸ Ἀσκληπιεῖόν ἐστι, σφόδρα ἔνδοξον καὶ πολλῶν ἀναθημάτων μεστὸν ἱερόν,.... φασὶ δ' Ἱπποκράτην μάλιστα ἐκ τῶν ἐνταῦθα ἀνακειμένων θεραπειῶν γυμνάσασθαι τὰ περὶ τὰς διαίτας· οὗτός τε δή ἐστι τῶν ἐνδόξων Κῷος ἀνήρ....

Plin.,Hist.Nat. xxix,4: (١١)

Is, cum fuisset mos liberatos morbis scribere in templo eius die quid auxiliatum esset ut postea similitudo proficeret,exscripsisse ea traditur atque, ut Varro apud nos credit, templo cremato is instituisse medicinam hanc quae clinice vocatur.

Guthrie , the Greeks and their Gods....op.cit. p. 241 (١٢)

CF. also Godwin, Mystery Religions... op.cit .p.43

Bell, Cults and Creeds..... op.cit.p.69 (١٣)

cf.Aristophanes, Traduction, Notices et notes par M.J.Alfonsi, (١٤) Paris (1966) note 251 p.244,

Aristoph . Plut.700-703:

ἦ πού σε διὰ τοῦτ' εὐθὺς ἐβδελύττετο.
οὔκ, ἀλλ' Ἰασὼ μέν τις ἀκολουθοῦσ' ἅμα
ὑπηρυθρίασε χἠ Πανάκει' ἀπεστράφη
τὴν ῥῖν' ἐπιλαβοῦσ'. οὐ λιβανωτὸν γὰρ βδέω.

انظر ايضا بحثنا :" عبادة الربة كيبيلى فى روما " رسالة دكتوراه غير منشورة ؛ كلية الاداب جامعة عين شمس سنة ١٩٩٠ صفحة ١٢٢- ١٢٧ (عن يوم الدم Dies Sanguinis) وبحثنا :" دراسة وترجمة لقصيدة اتيس للشاعر الرومانى كاتوللوس " مجلة اوزوريس ؛ القاهرة ؛ المجلد الثانى عدد اغسطس ١٩٩٢ صفحة ٣١-٣٩ ؛

Aristoph. Plut.410-412:

μὰ Δί' ἀλλ' ὅπερ πάλαι παρεσκευαζόμην
ἐγώ, κατακλίνειν αὐτὸ εἰς Ἀσκληπιοῦ
κράτιστόν ἐστι.

Aristoph. Plut. 620-21:

ἐγὼ δὲ καὶ σύ γ' ὡς τάχιστα τὸν θεὸν
ἐγκατακλινοῦντ' ἄγωμεν εἰς Ἀσκληπιοῦ.

cf. also Aristophanes , by W.Lucas London(1908) chapter ix p.160

Aristoph. plut . 459-666 (١٥)

Aristoph .plut. 667- 681 (١٦)

Aristoph. plut. 707-723 (١٧)

CF. Lucas, Aristophanes....op.cit .pp.162-63 (١٨)

Aristoph. Plut.727-747 (١٩)

Alfonsi, Aristophanes ....op.cit.note 254 p.441 (٢٠)

cf. Temples and Sanctuaries of Ancient Greece , edited by Evi Melas , London (1973) p.92

حيث يورد صورة لتمثال خاص باسكليبيوس يرجع الى سنة ٣٧٠ ق . م عثر عليه فى ابيداوروس وموجود الآن فى المتحف القومى بأثينا . فى الصورة يقف اسكليبيوس ومعه عصاته وقد التف حولها ثعبان .

cf.also Aristophanes , the Loeb classical Library ,London(1927) vol. III note a p . 427

Bell, Cults and Creeds..... op.cit.pp.20-21 (٢١)

P.Oxy .XI , 1381 Introduction ; (٢٢)

P.Leyden U(Wilcken , Melanges Nicole 579-96) apud p.Oxy, Ibid,Introd.

P.OxyXI 1381 Introd. (٢٣)

P.Oxy.XI 1381 Introd . (٢٤)

cf. also Webster,s New International Dictionary ,London

(1928) p.46,1750 for quartan ague (τεταρταία ἢ φρίκη)

(٢٥) Hippocrates , Epidemics I , XXIV:

Πυρετοὶ οἱ μὲν συνεχέες, οἱ δ' ἡμέρην ἔχουσι, νύκτα διαλείπουσαι, νύκτα ἔχουσιν, ἡμέρην διαλείπουσιν· ἡμιτριταῖοι, τριταῖοι, τεταρταῖοι, πεμπταῖοι, ἑβδομαῖοι, ἐναταῖοι. εἰσὶ δὲ ὀξύταται μὲν καὶ μέγισται καὶ χαλεπώταται νοῦσοι καὶ θανατωδέσταται ἐν τῷ συνεχεῖ πυρετῷ. ἀσφαλέστατος δὲ πάντων καὶ ῥήϊστος καὶ μακρότατος πάντων ὁ τεταρταῖος.

(٢٦) P.Oxy .XI , 1380 note 152

وقد كان الدخول فى اسرار ايزيس يتم بالنسبة للكهنة او الافراد الذين تختارهم الالهة عن طريق الاحلام ؛ وفى بعض الاحيان كان الحلم نفسه هو عملية الدخول فى السر ذاتها . قارن :

Godwin.. , Mystery Religions......op.cit.p.34

(٢٧) cf. Bell , Cults and Creeds ..... op. cit .p. 69

(٢٨) P.Oxy VIII , 1149;

P.Tebt .II , 284 Introd.

(٢٩) P.Oxy .XII , 1477 Introd.

(٣٠) P.Oxy .XII , 1477 Lines 72,74,85,88,90,91

(٣١) Godwin, Mystery Religions..... op.cit. p. 125

cf. also Bell , Cults and Creeds .... op. cit. pp. 20-21

ولمعرفة المزيد من التفاصيل عن عبادة سيرابيس فى مصر واصلها ومراكزها والجانب المصرى والاغريقى فيها ومدى تقبل المصريين والاغريق لها انظر :

ابراهيم نصحى ؛ تاريخ مصر فى عصر البطالمة ؛ الجزء الثانى ؛ الطبعة السادسة ؛ الناشر مكتبة الانجلو المصرية ؛ القاهرة (١٩٨٧) صفحة ١٧٧– ١٩٩

(٣٢) P.Cairo - Zenon I , 59034 Introd.

وهو يقدم لنا ايضا تحليلات عن شخصية زويلوس Zoilos المشار اليه هنا فى هذه الوثيقة وهل هو زويلوس الذى استعمله ابوللونيوس على سوريا أم أنه كان زويلوس الذى كان فى بتوليمايس Ptolemaisفى هيبربيرتايوس Hyperbertaios أم زويلوس الاقتصادى الذى كان فى ارسينوى . ويذكر أنه من الصعب تحديد من هو زويلوس بالضبط المشار اليه هنا وكذلك تحديد المكان الذى كان ينبغى تأسيس المعبد فيه ويميل الى القول بأنه من الممكن أن يكون مكان ما اقرب الى Knidos (قارن نفس المرجع ؛ المقدمة).

(٣٣) P.Oxy .XI ,1382 Introd .

وقد نقلنا عنه ايضا ترجمة هذه الوثيقة .

(٣٤) P.Oxy.XI 1382 Introd .